بسم الله الرحمن الرحيم

منتدى الرواية

المنصة الرقمية لمناقشة الروايات السودانية

الندوة رقم (5)

السبت ٢٥ يوليو ٢٠٢٠م

مناقشة رواية (فريج المرر) للروائي حامد الناظر

فريج المرر

جماليات الوصف وأبعاد الحوار،

(التقارير والتغطية الخبرية)

قراءة نقدية، بقلم: أحمد مجذوب الشريفي

الرواية تميزت بانسجام الإيقاع والموسيقى اللفظية التي هيأت بيئة جيدة للقارئ

سوق فريج المرر... مكان يضج بالحكايات, والعلاقات المتشابكة والمتداخلة, يرويها "الناظر" في ثمانية فصول, مقدماً صورة عامة عن عالم قد يبدو غريباً على الرواية العربية, هو عالم الحبشة وتاريخها وناسها الذين يغادرون بلدانهم الفقيرة ويأتون إلى الخليج العربي لتحسين ظروف حياتهم. لدى كل واحد منهم حكايته الخاصة, التي قد تتشابه مع حكايا الآخرين.

وعلى هذا اتخذ من سوق "فريج المرر" في مدينة دبي اسماً لروايته الأولى, ومكاناً تجري فيه معظم حوادثها, وتجمّعاً لجميع الشخصيات على اختلاف جنسياتها وبيئاتها وأشكالها, و الإسم له دلالة (ترويجية) استطاع الروائي أن يصوغ كلماتها وأن يبرز معالمها بوصف دقيق, مرتبطا بأماكن أخري لها مدلولات سياحية لمدينة دبي عامة حتى لتكاد أن تكون الرواية جزء من عمل اعلانى مرتب.

مميزات الرواية:

العتبات النصيّة :

كانت سمة مميزة فيى الرواية حيث اختار الكاتب لكل فصل من فصول الرواية نصا أو مقولة لواحد أو واحدة من شخصيات الرواية, حيث يكون النص مضمَّنا في سرد أحداث الفصل المعني نذكرها:

"دُبي مدينة لا تنتبه كثيراً إلى الأغراب، إلى أسمائهم، أنسابهم، بقدر ما ينتبهون هُم لحضورها، إذا لم تكن غريباً، وحيداً، فإنك قد لا تعنيها كثيراً".

"الصداقة عند الكرام أعظم من رابطة الدم"

" الأشخاص الذين ألتقيهم أفضّل ألا تكتمل صورتهم أمامي دفعة وأحدة، ينبغي أن تنمو مع الأيام والأحداث".

"الوسادة ليست متكئاً وحسب، بل صديق خاص يمكن الوثوق به إلى حدّ لا يصدّق".

" المستقبل هو الماضي، هو التايخ، يتكرر بأقنعةٍ مختلفة فيظن الناس أنهم قد تقدموا إلى الأمام".

" الحديث إلى الملائكة أمرُ لم أجربه بعد".

" لاٍ يكفي أن تعرف الطريق الذي يوصلك إلى الهدف، ينبغي أن تعرف أيضاً كيف تتصرف مع من سبقك إلى هذا الطريق".

جماليات الوصف:

الوصف في رواية فريج المرر وصفا دقيقا حيث وجدته روائيا يرسم بالحروف, ويلتقط صورا ثابتة حينا ومتحركة أحيانا ثم يحيل كلماته وجمله وعباراته الى مجموعة لوحات دقيقة يجمعها في لوحة واحدة فتبدو روايته رائعة وجميلة ساعدته لغته البسيطة التي تحاشي التقعر اللفظي فيها وكذلك الاسهاب الممل بل أحكمها بوعي كاتب وهذا طبعا يرجع الى خلفيته الاعلامية عامة وكمراسل اخباري خاصة وهذا سنتناوله بتفصيل لاحقا.

فدراسة النص الأدبي تحليلا لروايته وتأمل لها , أجد أنه اهتم بدراسة زاويا مختلفة من حيث الشكل والمضمون العام لروايته, وهذا يظهر جليا عند التحليل النفسي حينما ندرس الشخصيات بالرواية وهذا موضوع آخر, ولاسيما

في معالجة تيار الوعي والكشف عن طبائعها, كما يمكننا من خلال الرواية الكشف عن أهم المظاهر الاجتماعية التي تناولت مضمون العمل الروائي.، وهذه ميزات يصعب أن تجدها لدي كاتب روائي, الا أن الحديث حول هذا يحتاج الى قراءات أخري لعلى أتمكن من ذلك لاحقا.

ويبدو الوصف دقيقا للمكان "سوق فريج المرر" من حيث حدود المسافة أي المكان المفتوح حينا المغلق حينا آخر, وكذلك من حيث الحالة الشعورية والتفسيرية المتولدة لدى ساكن أو زائر السوق الذي ولد ألفة وعدائية, وهذا

طبيعي، "الطيب" شعر بألفة تزايدت بالتردد عليه فأحدثت راحة نفسية لديه.

ثم نتجه مع الكاتب الى اثيوبيا حيث يسرد الراوي في فصل كامل رحلته مع صديقه إلى أديس أبابا, فيصف طبيعًتها وشوارعها ونمط أبنيتها وعماراتها, كما يصف نمط الحياة وطرق العيش هناك, والطقوس والعادات السائدة, وأشكال الاحتفالات. "اقتربنا أكثر, كانت أديس أبابا تغتسل في ستور من الجبال المحيطة, كأنما تتهيأ لاستقبالنا, وسطها المنبسط كراحة اليد, جميل رائق منظم, الخضرة تملأ الفراغات بين الأبنية وعلى جوانب الطرقات, والأسقف البهية من القرميد الأحمر تعطي شعوراً بالفخامة, دائرة واسعة من الجبال, محشوة بمدن الصفيح كانت تحاصر المدينة في صبر".

وكما قلت إن الوصف باعتباره رسم بالكلمات, فاللغة الشعرية حينا البسيطة غالبا ارتبطت بمظاهر أخري جعلت للرواية سهولة في فهمها فارتفعت حالات التشويق والمتعة في غالبها آلا في فصلها الأول (قبل الدخول) الذي امتاز بلغة جافة واستخدام ألفاظ متفلسفة عالية تقعيرية , فكاد أن يتسبب في تنفيري , بالتالى في عمومياتها تميزت الرواية بانسجام الإيقاع والموسيقى اللفظية التى هيأت بيئة جيدة للقارئ , ثم التناص, والتقريرية, واللغة عموما معروفة لدى النقاد بأنها عنصراً تزينياً, لأثرها الواضح في إضفاء جمالية على المنتج الأدبي، بمعني أنه إذا نجح الكاتب في اختيار المناسب من المفردات التى يشكل بها جمله وعباراته, وهذا لن يأتى (الا بعد ممارسة طويلة), ستجعل فكرته وكيفية معالجتها أكثر وضوحا لسرعة استيعاب المتلقي للفكرة وما تحويه من مضامين , لعل هذه التقنيات الوصفية الدقيقة قد كشفت لنا عن قدرة الكاتب حامد الناظر وتفرد أسلوبه الروائي في الوصف بلغة سردية جذّابة, فكان الوصف تصويرا شيِّقا للأحداث والأماكن، متبوعا بقوة الملاحظة. يقول الراوي، وهو يصف لقاءه مع

إيلْسا, في المقهى, لحظة تحركها من الطاولة التي كانت تجلس عليها وهي تريد أن تنضم إلى طاولته: "قامت من مكانها فجأةً كما تقوم النوافير", وفي مكان آخر يصف لحظة تعرّفه الأولى على أستير: "نفضت شعرها إلى الوراء وابتسمتْ, ثم رمشتْ بأهدابها رمشاتٍ قصيرة متتابعة, وكأنما تنفضه من غبارٍ عليل"

برع الكاتب أيضاً في وصف الأماكن من الداخل, تحديداً عندما رسم جغرافية المقاهي الداخلية المنتشرة في الحيّ العريق في قلب مدينة دبي, فهو قد رسم مشاهد حيّة للناس وحركتهم وروائحهم وأحاديثهم وتبدلات مشاعرهم المختلفة داخل تلك الأماكن الضيِّقة. مشاهد من شدّة دقة الوصف وقوة الملاحظة تكاد أن تشم فيها روائح البخور وتتذوق طعم القهوة الحبشية والفشار المحمّص.

عموما أرى أن الكاتب نجح و كما قلت سابقا وبتأثير مهنته (كمراسل) استطاع أن يبرز ويظهر أدق التفاصيل ببراعة, وبالتالى أبرز الأشياء في مظهرها الحسي وقدمها للعين, رغم أن هذا لون من ألوان التصوير, ولكن ليس التصوير بمفهومه الضيق الذى يخاطب العين (النظر), فالناظر قدمها كصورة متحركة (فيديو) بأبعاد عالية الدقة, فخاطب حواس المتلقي كلها. وحرص على تقديمها كمقاطع عكست المشاهد, ثم حرص كل الحرص على نقل المنظور الخارجي كأدق نقل (مباشر).

جماليات الحوار:

وهذا عنصر آخر نجح فيه الروائي حامد الناظر وهو ما جعل لروايته ميزة استمرار التشويق ومعروف أن لغة الحوار في العمل الأدبي عموما (خلفية جدارية) يستند اليها العمل وينطق عبرها الشخوص بكل المفردات داخل مكنونات القضية وحكاية النفس الإنسانية, والتي تعتبر المركز الرئيسي والعماد والنافذة التي تبرز من خلالها شخصيات الرواية التي تشكل حال الكلمة وواقع الحال, فرحه

وسروره وكذلك انهزام وانتصار الشخصية, ويفيد الحوار مع الذات بخلق ظل يلازم الراوي ويحاوره بهدف إيجاد أبعاد سردية تنهض بالنص وتأخذ المتلقي إلى أجواء ِما وراء النص في رحلة تأملية تخدم الراوي والنص في آن واحد.

وإذا كان وصف الشخصية في النص يأتي من خلال الحوار مع الآخر فانه لا يتم إلا عبر قنطرة الزمان والمكان فضلا عن المكونات النفسية والسلوكية, لان بهذا الأسلوب يتمكن الراوي من سبر أغوار الشخصية والكشف عن اتجاهاتها وأزماتها الخارجية ووعيها لما حولها وفهمها لأدق الأمور التي تستكن في تفكيرها.

تتكلم الشخصية في الحوار بلغتها الخاصة عن رؤيتها للاحداث وانفعالاتها وتاريخها, في الوقت الذي يختفي فيه الراوي, بمعنى إن خطاب الراوي يتوقف, ويبدأ خطاب الشخصية, وقد لاحظنا كيف نجح الكاتب في توظيف لغة غير عربية وهى لغة الرواية, وجعل عددا من شخوصه وهم أحباش لهم لغتهم الخاصة كما هو معروف, فكان هذا التوظيف جدا رائع و الانتقال كان سلسا رغم عدم فهمنا لمفرداته الا اذا رجعنا للحواشي، ورغم عن هذا فإن تجاوزها لم يؤثر في الفهم العام فقد فهمنا ولو جزئيا من حيث السياق.

وهذه واحدة من أهم سمات الرواية "فريج المرر" أن جعل الحوار يفيد في كسر رتابة السرد وجذب المتلقي إلى جو الرواية وتحويله إلى مشاهد وكأنه يواصل عرضا مسرحيا فضلا عمّا ذكر فان الحوار يقوي البنية السردية للرواية, وهذا أثر جيد أحدثه الروائي.

بالتالى ما بين السرد والوصف في الرواية تمكن "الناظر" من جعل حواره منطقيا في الرواية من حيث الزمن وتوقيت الحالات التى تحتاج السرد والوصف أو الحوار وعلى هذا ضبط حالاته الحوارية زمنيا بتناسب جيد, لان النص الجيد

هو الذى تتضافر فيه العناصر الروائية بتناوب مدروس حتى لا يكون الحوار عبئا على المتلقي..

اشكاليات وعلل الرواية:

عكست تطور مدينة دبي وتقدمها وانفتاحها, هذا ليس المقصد, فالكاتب يتجول بقلمه كيف ومتى شاء ولا حدود له من حيث المكان أو الزمان, الماضي وكذلك الحاضر, بل حتى المستقبل يمكنه أن يسرح بخياله, انما هنا أظهر في هذه الرواية, الاهتمام بمدينة دبي كتقرير إخباري كتغطية إعلامية لحدث ما, جعل الرواية وكأنها تقدم مادة اعلانية ترويجية, "دُبي مدينة لا تنتبه كثيراً إلى الأغراب, إلى أسمائهم, أنسابهم, بقدر ما ينتبهون هُم لحضورها, إذا لم تكن غريباً, وحيداً, فإنك قد لا تعنيها كثيراً", هذه كانت أولى العتبات والتى أدخلتنا الى عالم الرواية, ثم: "دبي مدينة لكل الناس, الأبيض والأسود, العفيف والفاجر, حيوات مختلفة, تمور في حياة واحدة, التقي والماجن يعملان في مكان واحد, جنبا إلى جنب, ثم حين يجنّ الليل يذهب كل إلى محرابه ليصلي صلاته التي يعرف, ثم يطلع عليهما صباح واحد, واللّه وحده العالم بمن ضل ومن اتقى.

قصة الرواية:

شكلت عقبة كبيرة في تنوع الأحداث لأنها كما قلت سابقا بنيت على تمجيد وإظهار معالم مدينة دبي كاعلان ترويجي دعائي وليس عملا أدبيا يلتزم بعناصره وأهمها الصراع, فكانت تقريرا اعلاميا, خاصة أن الفكرة متكرِّرة وبسيطة (الهجرة) إلى إمارة دبي أو الى أى مكان آخر, شأنه شأن كثير من الشباب السودانيين. يقول الراوي: "كواحدٍ من أولئك الآلاف الذين يتسربون كل يوم, قررت أن أغادر, تاركاً كل شيء في مكانه, حتى الذكريات".

بالتالى بما أن الفكرة مكررة وقد تناولها آخرين بزاوية أو أخري, كان حريا بالكاتب أن يختلف أسلوب تناوله لها من

حيث الظروف النفسية والاقتصادية والاجتماعية, واحداث ما يلزم من تطور الأحداث ليجعل روايته بشخصياتها متفردة في فعلها وتصرفها ومواجهتها لظروف ومتقلبات الحياة.

التقريرية الخبرية:

تحرك الكاتب هنا بصفته إعلامي يعرف كيف يكتب تقريرا تلفزيونيا الا أنه استبدل الكاميرا بالكلمات وهذا أحدث تقريرية واضحة في نقل الأحداث وتصوير الأماكن وتحريك الكاميرا لالتقاط مشاهد هنا وهناك يتخللها حوار مع أشخاص لعكس صورة أوضح تكمل تلك المشاهد, هذه التقريرية منعت من تصاعد الأحداث لتصل الى ذروة ما ثم تهبط لتحدث حالة تنوير حسب تشابك الأحداث و تنامي الصراع وتطوره لتنهي اشكاليات حدثت.

ونسات قهاوي:

الحكايات الكثيرة لأبطال الرواية. "أستير, إيلسا, حمد المرّي، بيتي، مجنون ليلى، مجدي... الخ" كانت عبئا ثقيلا على الرواية, فالكل يحكي ويجتر حكايات ماضيه, نعم تختلف ولكن استمرار وتيرة الحكي (ونسة قهاوي) لم يسهم هو كذلك في تنامي الحدث الدرامي ولم يخلق أجواء متوترة تساعد في إحداث مشاكل معقدة حينا سهلة أحيانا حسب الظروف المنطقية التى ينشأها الكاتب للحدث و التفاعل معه.

النهاية والختام:

تفاجأت بنهايات لا تتناسب والأحداث (الافتراضية) لأى الرواية, كأن الكاتب أراد أن يتخلص منهم, فكانت عدم منطقية لتصرف كهذا, فمعظم الشخصيات انتهت نهايات مأسوية فاجعة, سواء أكانت شخصيات نسائية مثل إيلْسا التي تنتحر أمام الراوي في مياه الخليج, أو رجالية مثل المرّي الذي

انتهى إلى صمت أبديّ بعدما فقد النُطق نتيجة عدم تمكنه من معرفة مصير ابنته التي هربت بها أمها إلى أديس أبابا. أما «مجنون ليلى» فتنهار به بناية عتيقة فيتحوّل أشلاءً ممزقة في خاتمة المطاف.

وكذلك: (علمت أيضاً أن ليلى أنجبت من شقيقها ثلاثة أطفال, كانت تلدهم في تلك الغرفة, ثم تقتلهم كما تفعل القطة مع صغارها, وتدفنهم تحت ترابها, وهي التي قتلت شقيقها, واعترفت بذلك أمام القاضي , ثم قرأت في الصحف أنها انتحرت في السجن).

لا يوفر المآل المأسوي شخصية مثل أستير التي تجمع كلّ المتناقضات في شخصيتها. إنها مناضلة ومثقفة مهتمة بالتاريخ, ونادلة في مقهى. تختفي في نهاية الأمر في حيّ فقير مترب من أحياء أديس, فيطويها النسيان ولا يبقى منها سوى رسالة تركتها للراوي عند صاحبة المقهى التي كانت تعمل معها. لكنّ الرسالة نفسها تذوب حروفها في مياه الخليج عند محاولة الراوي اليائسة في إنقاذ إيلسا من الغرق, فيضيع آخر خيط كان يمكن من خلاله العثور عليها أو التعرُّف إلى مصيرها الغامض.

ولا تفسير لكل هذه المصائر والمآلات المفجعة سوى داخل حيّ (فريج المرر) ذاته. فالراوي يُعبِّر عن هذا المعنى في إحدى تأملاته: "منذ أن عدتُ من أديس أبابا, بدا لي فريج المرر مختلفاً, كما لو كان جداراً شاهقاً بين الناس وماضيهم, أماناً منه, من يدخله ينبغي أن يخلع تاريخه, ذاكرته, وينفض- على عتباته- نعليه من غبار أيامه السّالفة", بالتالى لم يصنع الكاتب أحداثا تناسبت مع واقع وفكرة الرواية.